من اتّجاهات الكتابة اللّسانيّة العربيّة : لسانيّات التّراث

الأستاذة: نصيرة قياسة

جامعة باجي مختار، عنّابة

ملخّص :

واجهت اللّغة العربيّة مطلع القرن العشرين مشكلة تلقّي الوافد الغربي، والسّبب في ذلك يرجع للقداسة الّتي اكتسبها الموروث اللّغويّ العربيّ، ممّا أثّر في تلقّي الدّرس اللّسانيّ الحديث، كونه علما جديدا فكثرت التّآليف و الكتابات ممّا يدعى باللّسانيّات العربيّة،و تعدّدت، نظرا لاختلاف الموضوع، والمنهج، والغاية، فبرزت ثلاثة اتّجاهات لسانيّة: الكتابة اللّسانيّة التّراثيّة، والكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة، والكتابة اللّسانيّة المتخصّصة.

ومنه فإنّ هذا العمل يسلّط الضّوء على النّوع الأوّل من الكتابة اللّسانيّة العربيّة، وهو لسانيّات التّراث من حيث الموضوع والمنهج والغاية.

الكلمات المفاتيح :لسانيات التراث ،التراث اللغوي العربي ،اللسانيات العربية ،اتجاهات الكتابة اللسانية العربية

Abstract:

At the beginning of the 20thcentury, the Arabic language faced a problem to receive the western entrant due to the holiness which was acquired by Arab linguistic heritage that affected in receiving the lingual lesson since it was a modern stranger science. As a result,

the Arabic linguistic writing abounded and multiplied due to the difference of topic , the syllabus and the aim.so we find the linguistic of heritage, the introductory Arabic linguistic writing ,and the specialized linguistic writing.

From all this, this work highlights the first type of Arabic linguistics writing, which is heritage linguistics due to its topic ,syllabus and aim.

Key words : The linguistic of heritage , Arabic linguist heritage, The Arabic linguistics, The Arabic linguistic writing ways.

توطئة:

إنّ الحديث عن اتّجاهات الكتابة اللّسانيّة العربيّة يستدعي وقفة موجزة عن واقع اللّغة العربيّة ومشكلاتها في العصر الحاضر؛ حيث واجهت مع مطلع القرن العشرين مشكلة تلقّي الوافد الغربي لاعتبارات عديدة، منها القداسة الّتي اكتسبها الكمّ الهائل من التّراث اللّغويّ العربيّ الّذي خلّفه القدماء، حتّى قيل إنّهم « قد أتوا كلّيا على لغتهم جمعاً وتمحيصاً، ثمّ دراسةً وتنظيماً حتّى غدت علومهم في اللّغة مجرى الاكتمال»[1] ؛فهذا التّمسّك غير الموضوعيّ بالتّراث أجحف في حقّ البحث اللّساني الحديث، وجعل من بحوثه بحوثا تتميّز بالدّغمائيّة، وللمكانة الّتي اكتسبتها اللّغة العربيّة للصاقتها الكبيرة بكتاب الله عزّ وجلّ، وتقديسها في الذّهنيّة العربيّة، وبالتالي لا يقبلون غريبا عنها، والمقصود من كل ذلك هو اللّسانيات كونها علمًا جديدًا وافدًا على الثّقافة العربيّة، حيث مثَّل مرحلة تحوُّلٍ في البحث اللّغوي عند العرب من العمل النّهضويّ الإحيائيّ الّذي اهتمّ بتاريخ اللّغة العربيّة ومقارنتها بغيرها من اللّغات، وبالنّحو العربيّ القديم، والأصول اللّغوية لتنمية اللّغة العربيّة إلى العمل اللّسانيّ المعاصر؛ فكثرت الكتابات والتّآليف عن اللّغة العربيّة ممّا يدعى باللّسانيّات العربيّة، واختلفت وجهات الاهتمام بها باختلاف:

_ المرجعيّات وتعدّدها من ناحية؛ ويتجلّى هذا التّعدّد من خلال مرجعيتين أو قطبين في الدّراسة اللّسانيّة هما:

أ_التّراث اللّغويّ العربيّ:

ومفاد هذا القطب « أنّ البحث اللّغويّ العربيّ يتضمّن كلّ الأفكار والتّصوّرات اللّسانيّة الحديثة، الّتي جاءت بها اللّسانيّات الحديثة... فليس للّسانيّات ما تضيفه للتّراث اللّغويّ.»[2]

ب_ الدّرس اللّسانيّ الحديث:

ومفاد هذا القطب « أنّ البحث اللّسانيّ العلميّ له أصوله وقواعده ومنهجه وأهدافه»[3]، لذلك ينبغي الاستفادة « من اللّسانيّات كمنهجٍ أو رؤيةٍ حداثيّة في مساءلة كثيرٍ من قضايانا الفكريّة قديمها وحديثها.»[4]

_ معايير تصنيفها من ناحية أخرى« سواء في الموضوع المعالج، أم المنهج المتّبع، والغاية الّتي تروم الوصول إليها، إذ لا تكاد تخرج عن دراسة الموروث اللّغويّ العربيّ، أو ربطه بما أنتجه البحث اللسانيّ،

أو استثمار اللّسانيّات في تفسير قضايا اللّغة العربيّة.»[5]،حيث توزّعت الكتابة اللّسانيّة العربيّة على ثلاثة اتّجاهات لسانيّة أفضى إليها اعتماد معايير تصنيفيّة تمثّلت في نوع الموضوع، من حيث مبادئ العمل اللّساني ومنطلقاته على أنّه مادة البحث من قبيل النّظريّات اللّسانيّة وكلّ ما له علاقة بها أو التّراث اللّغوي كونه تصوّرات لغويّة قديمة تحاول الحفاظ على كيانها أصلاً وامتدادًا، والمنهج المتّبع في البحث والأهداف الّتي يسعى الباحث لتحقيقها من كلّ ذلك حيث تصنّف باختلاف الموضوع، والمنهج المتّبع والغاية إلى: 1-الكتابة اللّسانيّة التّراثيّة العربيّة (لسانيّات التّراث).

2- الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة العربيّة (التّبسيطيّة).

3 - الكتابة اللّسانيّة المتخصّصة (لسانيّات العربيّة).

ومنه فإنّ هذا العمل يسلّط الضّوء على النّوع الأوّل من الكتابة اللّسانيّة العربيّة الموسومة ب" لسانيّات التّراث"، من حيث موضوعها ومنهجها وغايتها.

-الكتابةاللّسانيّةالعربيّةالتّراثيّة:

وهو اتّجاه منطوٍ على التّراث في دائرة مغلقة، ومحافظ عليه ومتمسّك بأصالته، ويرى أنّ«كلّ جديد في طراز الثّقافة إنّما يستهدف شيئًا واحدًا هو القضاء على ثقافتنا وأصالتنا»[6]، وأنّ الموروث اللّغويّ يمثّل الاكتمال بالنّسبة لعلوم العربيّة عند العرب، وهو ما ذهب إليه الباحث التّونسيّ " عبد السّلام المسدّي " في كتابه " اللّسانيّات وأسسها المعرفيّة " خلال حديثه عن عقبات البحث اللّسانيّ العربيّ، وهو أنّنا « نستجمع إرثا لغويّا من أغزر ما تخلّفه الأحقاب الحضاريّة لمن بعدها، ويكاد يجزم النّاظر بأنّ العرب بين قديمهم وحديثهم قد أتوا كليّا على لغتهم جمعًا وتمحيصًا ثمّ دراسةً وتنظيمًا حتّى غدت علومهم في اللّغة مضرب الاكتمال، فعن هذا الواقع الحضاريّ المعرفيّ نشأت لدى العربيّ رؤية من القداسة اتّجاه لغته النّوعيّة، واتّجاه عمليّة درس اللّغة...فكأنّما حال العربيّ اليوم تقول: ... أفيليق أن نتتلمذ في علوم اللّغة على من سوانا؟»[7]وإنّهذا لمن الأسباب النّفسيّة والحضاريّة الّذي تدعمه الهويّة العربيّة في جانب إذ تعدّ اللّغة العربيّة في نظر أصحاب هذا الاتّجاه «اللّغة الوحيدة في العالم العربيّ القادرة على حمل التّراث العربيّ الإسلاميّ الإنسانيّ والعلميّ، ثمّ إنّها اللّغة الوحيدة الّتي تمثّل الوجود العربيّ بكامل أبعاده ومهما كانت ألوانه»[8] ، فهي على مدى خمسة عشرة قرنًا من الزّمن أثبتت قدرتها على أن تكون ركيزةً من ركائز الشّخصيّة العربيّة والحضاريّة حيث « تشكّل اللّغة العربيّة أحد المفاهيم الجوهريّة لمكوّنات الأمّة وشروط استمرارها وبقائها وديمومة حركة تقدّمها، وهي أداة تواصلٍ حيّة وفاعلة بين الماضي والحاضر والمستقبل، وتشكّل العمود الفقري للتّكوين الإديولوجي والفكري والثّقافي والنّفسيّ لكل

العرب»[9]، ويدعمه معطًى موضوعيّ في جانب آخر؛ وهو أنّ العربيّ لم يتسنّ له بعد الاطّلاع على حقائق اللّسانيّات الحديثة، ودراسة اللّغة على أنّها ظاهرة اجتماعية كونيّة. سمّي هذا النّوع من الكتابة اللّسانيّة العربيّة ب" لسانيّات التّراث "، حيث تتّخذ من التّراث اللّغويّ العربيّ موضوعًا للدّراسة، بالبحث في خباياه، ومن إعادة قراءته منهجًا، وتحاول « قراءة التّصوّرات اللّغويّة العربيّة القديمة وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللّسانيّ الحديث »[10]، ومن محاولة إثبات أسبقيتها بتبيان قيمتها التّاريخيّة، والحضاريّة غاية؛ ذلك أنّهم يؤمنون بأنّ« التّقدّمات العلميّة الكبرى لم تكن نتائج اكتشافات أحداث جديدة، ولكن نتاج طريقة جديدة للتّفكير، وإعادة تشكيل الأحداث المعروفة »[11]، وقد وصف " مصطفى غلفان " اللّسانيّين التّراثيّين في سعيهم لتحقيق غايتهم بقوله: « ويستعمل لسانيّو التّراث شتّى الوسائل المعرفيّة لتحقيق غاية التّوفيق في إطار ما عرف بالقراءة أو إعادة القراءة، بيد أن أصحاب الكتابة القرائيّة لا يشكّلون مدرسة متجانسة، إنّهم مجموعة من وجهات النّظر والمواقف الفرديّة المتفاوتة من حيث طبيعة الجهاز النّظريّ والمنهجيّ الّذي يتمّ من خلاله التّعامل مع التّراث اللّغويّ العربيّ.»[12]وإنّمن أسباب هذا الاهتمام أيضا تركيز هؤلاء الباحثين على البعدين الدّيني من جهة، واللّغويّ العلميّ من جهة أخرى، لتبيان مكانتها في القديم حتّى يتمكّنوا من إثبات قدرتها على مسايرة الرّكب الحضاريّ، واستيعابها لكل ما جدّ في العالم من دراسات متميّزة.

إنّ الكتابات الّتي تمجّد الماضي بلغته وشخصياته، وتقدّم ما « أبدع فيه روّاد الفكر اللّغويّ القديم في القرن الثّاني الهجريّ، وخاصّة الخليل وسيبويه، ثمّ من جاء بعدهم بدرجات مختلفة»[13]، مقسّمة بحسب موضوعها إلى ثلاثة أقسام حسب تقسيم الباحث"مصطفى غلفان"؛ فهي قراءة شموليّة، وقراءة قطاعيّة، وأخرى نموذجيّة.

1 - القراءة الشّموليّة:

وتتناول التّراث اللّغويّ في صورته العامّة باعتباره تصوّرات تنظيريّة للظّاهرة اللّسانيّة العربيّة بشكل عام وشامل في دراسة قضايا اللّغة العربيّة، غايتها التّنظير للظّاهرة اللّسانيّة العامّة من خلال البحث في التّراث اللّغويّ العربيّ بصورة عامّة من قبيل العمل الّذي قدّمه التّونسيّ "عبد السّلام المسدّي"،عنوانه" التّفكير اللّسانيّ في الحضارة العربيّة"، سنة 1981م.

2-القراءةالقطاعيّة:

وهي الّتي تهتمّ بمجالٍ لغويٍّ معيّن من المادّة اللّغويّة التّراثيّة كالبحث في أحد المستويات اللّغويّة الّتي تشكّل بنية اللّغة العربيّة كالصّوتيّ والصّرفيّ والنّحويّ والدّلاليّ ... حيث « تمثّل هذه المنظومة الأرض الأولى للإسهامات في وصف اللّغة العربيّة وتمثّل خصائصها نحوًا وصرفًا ومعجمًا وبلاغة وبناء للأدوات التّحليليّة الأولى»[14]، حيث تعتبر هذه المستويات مجالات بحثية تقوم على مبادئ منهجيّة واضحة، ومن أهمّ المؤلّفات في هذه القراءة نذكر: عملاً للباحث "عبده الرّاجحي"، عنوانه "النّحو العربيّ والدّرس اللّسانيّ الحديث، بحث في المنهج" (1979)، وعملاً للباحث "عبد الرّحمان الحاج صالح"، عنوانه "المدرسة الخليليّة والدّراسات اللّسانيّة في الوطن العربيّ"، مداخلة ألقيت في ندوة اليونسكو حول تطوّر اللّسانيّات في العالم العربيّ بالرّباط سنة(1987م).

3-القراءةالنّموذجيّة:

إنّ القراءة النّموذجيّة أو كما يسمّيها الباحث "مصطفى غلفان" قراءة النّموذج الواحد، ضرب من الكتابة اللّسانيّة القرائيّة، وهي أن يتناول أحد الباحثين التّعريف بشخصيّة لغويّة عربيّة من الشّخصيّات التّراثيّة، وما قدّمته من إسهام في الدّرس اللّغويّ القديم بالقراءة والدّراسة والتّحليل لمعرفة خبايا هذه الدّراسات، وكيفيّة معالجتها لبعض القضايا اللّغوية، وقد كثر هذا النّوع من الكتابة اللّسانيّة التّراثية في البحث اللّسانيّ العربيّ المعاصر، حيث تقدّم فكر شخصيّة عربيّة وطريقتها في تناول قضايا اللّغة العربيّة، من قبيل ما قدّمه الباحث "طاهر سليمان حمودة"، عنوانه"ابن القيّم الجوزيّة: جهوده اللّغويّة"، والباحث " أحمد المتوكّل"، عنوانه " نحو قراءة جديدة لنظريّة النّظم عند الجرجانيّ " سنة(1977م).ويرى الباحث "مصطفى غلفان" أنّ قضايا لسانيّات التّراث تندرج ضمن إشكاليّة عامّة لابدّ للباحث من الوقوف عليها، وهي "إشكاليّة الأصالة والمعاصرة"، والّتي تعني تمسّك التّراثيّين بما هو أصيل من تراثهم في مقابل البحث اللّسانيّ المعاصر والنّظريّات اللّسانيّة العربيّة الحديثة إذ الأصيل على حدّ تعبير "عبد الرّحمان الحاج صالح «هو الّذي لا يكون نسخة لغيره ... فالأصيل في الواقع هو المبدع الّذي يأتي بشيء جديد لم يسبق إليه مهما كان الزّمان الّذي يعيش فيه، والأصالة في زماننا هذا، وعلى هذا الأساس هي الامتناع من تقليد الغربيّين خاصّة»[15]؛ معنى ذلك أنّ الأصيل يعني ما أبدعه العرب القدامى،ولا يعني القديم في مقابل المعاصر، وهكذا أثار التّراث اللّغويّ بين مؤيّديه ومعارضيه جدلاً كبيرًا، أبرز صراعًا فكريًّا ومردّ ذلك مكانة التّراث في جميع مجالات الحياة، إذ يحتلّ مكانة فكريّة وثقافيّة ودينيّة وعلميّة...إلخ، وكلّ هذه الأبعاد جعلت من الصّعب اختراق المدوّنة التّراثيّة خاصّة وأنّ

الفئة المعارضة تعتمد على الآخر، أي: الوافد اللّسانيّ الغربيّ أو الأجنبيّ وهنا تتدخّل محطّة ثانيّة في مقابل الأصالة والمعاصرة، وهي صورة الغرب في متخيّل التّلقّي العربيّ بين التّأييد والمعارضة هي الأخرى، حيث أثّر هذا العامل بشكلٍ واضحٍ في تلقّي العرب للثّقافة اللّسانيّة بعدها علمًا غربيّا، إذْ لم تحظ بالمكانة الّتي تليقُ بها في الوطن العربيّ بعد أن حقّقت الرّيادة بين العلوم الإنسانية عند الغرب، حيث « اعتبر العديد من الباحثين العرب الدّراسة اللّسانيّة أساسًا للبرهنة على صحّة التّراث ونفوذه وقوّته، وهذا ما تعبّر عنه الكتابات اللّسانيّة العربيّة الّتي حاولت الرّبط بين اللّسانيّات الغربيّة والتّراث اللّغويّ العربيّ ربطًا آليًّا (لسانيّات التّراث) ... وعلى طرف نقيضٍ نجد من اللّسانيّين من يرفض الرّجوع إلى الماضي، فالمعرفة اللّسانيّة معرفة حديثة يجب أن نجرّدها من أيّ تاريخيّة ممكنة لأنّ ذلك ... يبعدنا عن الانخراط في منجزات العصر.»[16]لقد مثّلت اللّسانيّات في نظر هؤلاء المعارضين « بحث أوجدته ظروف اللّغات الأوروبيّة الّتي تختلف في انتماءاتها وتكوينها وبيئاتها وشعوبها المتكلّمة بها وتأريخها عن العربية وظروفها اختلافا كبيرا يجعلنا في موقف رافضٍ لكلّ ما يراد من الباحثين المعاصرين العرب أن يسلكوه أو يتعاملوا به مع العربية.»[17]وهناتحوّل الحديث من اللّسانيّات على أنّها رائدة العلوم الإنسانيّة بعلميّتها إلى الحديث عن أزمة لسانيّة عربيّة وعن عقبات البحث اللّسانيّ العربيّ، خاصّة وأنّها تعنى بالجهاز اللّغوي، ومدى تحقيقه للتّواصل، «والواقع أنّ اللّسانيّات في ثقافتنا لازالت تبحث عن نفسها وتتلمّس طريق الانطلاق ... كما أنّ اللّسانيّات في ثقافتنا كميدان بحث لم تثبّت أقدامها بعد بالقدر الكافيّ، ولا تزال تفصل بينها وبين المستوى الّذي بلغته في جامعات الغرب مسافاتٍ كبيرة.»[18]، حيث أصبحت عندهم جُحْرًا لجميع العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، وقدوة يحتذى بتوجّهها العلميّ والمنهجيّ الهادف.

- أمّا الغاية الّتي تسعى هذه الكتابة لتحقيقها فهي التّنظير للظّاهرة اللّسانيّة العامّة من خلال البحث في التّراث اللّغويّ العربيّ، و«إبراز قيمة التّراث العربيّ وإعطائه المكانة الّتي يستحقّها ضمن الفكر اللّسانيّ الحديث.»[19]وتختلف غاية هذه الكتابات باختلاف نوع القراءة فهي: **1-إمّاتفاعليّة:**هدفها ربط صلات التّراث اللّغويّ بالنّظريّات اللّسانيّة، وبذلك تُفَعّلُ المنطلقات اللّسانيّة والمناهج لخدمته من خلال ثلاثة مبادئ تتكامل فيما بينها يجمعها القول: " إنّ المقارنة أوّلا والتّطعيم ثانيّا والقولبة والتّمحيص والاحتكاك ثالثا تجسّد المظاهر الفكريّة الأساس للتّفاعل المنشود بين الفكر اللّغويّ العربيّ القديم والنّظريّات اللّسانيّة الحديثة، ويعتبر" أحمد المتوكّل " أبرز من كتب في هذا الاتّجاه".**2-وإمّاتمجيديّة:** تمجّد التّراث وتعظّمه وتجعل منه أرقى تنظيرٍ لسانيّ للّغة العربيّة، وهي ليست

بحاجة للنّظريّات اللّسانيّة الغربيّة حتّى نستفيد منها، وقد بيّن واقع الكتابة اللّسانيّة العربيّة التّراثيّة أنّ هذا الاتّجاه هو السّائد فيها.

3-وإمّاإصلاحيّة: تحاول تقريب النّحو العربيّ للقارئ في العصر الحديث بتبسيطه من قبيل ما فعله الباحث "تمّام حسّان" في كتابه " العربيّة معناها ومبناها "، حيث يذهب « إلى أنّه تمكّن من صياغة جديدة تسمح بفهم أفكار النّحاة العرب، وتأويلها، وتخليص النّحو من شوائب، ومصادر الشّكوى منه.»[20]إنّ إعادة قراءة الفكر العربي القديم، ومقارنته باللّسانيّات الحديثة تهدف إلى محاولة فهمه فهما جيّدا وتقييم هذه الجهود في ضوء ما توصّل إليه علماء اللّغة المحدثون، وإنّ أهمّ ما يسجّل على هذا النّوع من الكتابة هو أنّها لا تخضع لطريقة معيّنة في القراءة ولا لآليّات موحّدة، ممّا يضفي على منهج الكتابة اللّسانية التّراثيّة صفة العشوائيّة، وعدم الموضوعيّة، كما أنّها لا تجيب عن سؤال كيف نقرأ؟

إنّ جلّ الاستنتاجات الّتي توصّل إليها هؤلاء القرائيّون أنّ التّراث اللّغويّ العربيّ له فضل السّبق في الإشارة إلى الكثير من القضايا اللّغويّة الّتي أحدث أمرها في النّظريّات اللّسانيّة الغربيّة الحديثة من قبيل ما أشار إليه "عبده الرّاجحي" أنّ عمل مدرسة الكوفة اللّغويّ كان يقوم على الوصف بالأساس في مقابل اللّسانيّات البنويّة الّتي اعتمدت المنهج الوصفي، ومثل ذلك ما أجمعت عليه بعض الكتابات القرائيّة من قبيل " النّحو بين النّظريّة والتّطبيق "، ل" تمّام حسّان " من كون التّراث اللّغويّ العربيّ له فضل السّبق فيما يتعلّق بثنائيّة البنية السّطحيّة، والبنية العميقة في النّهج التّوليديّ، والّتي تمثّل أساسا من أسس النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة أو عن قضية " النّحو التّقديريّ " في التّراث النّحويّ العربيّ في مقابل مفهوم التّحويل في النّهج التّوليديّ التّشومسكي، خاصّة في العبارات الّتي جاءت على صورة غير مألوفة، وغيرها كثير...، دون أن نغفل أن هناك اختلاف معرفيّ بين هذين القطبين، وهو أنّ كلاّ من الفكر اللّغويّ العربيّ القديم، والبحث اللّسانيّ الحديث قد بنيا على مبادئ مختلفة، علاوة على اختلاف نظرتهما لسبب وغاية الاهتمام باللّغة، كما أنّ الكتابة القرائيّة لم تسع أبدًا لتواكب التّطوّرات الّتي تطرأ على النّظريّات الغربيّة، مثلما حدث مع النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة، حيث يعمد هؤلاء التّراثيّون لتقديم نماذج تجاوزها البحث اللّسانيّ الغربيّ، وأثبت عدم جدواها، كما أنّ التّراث هو مدوّنة صالحة لزمانها وعلينا تجاوزها، شأنه في ذلك شأن النّظريّات الّتي تظهر حديثة ويتمّ تجاوزها فيما بعد؛ على أنّها تقبل الصّحة والخطأ . و« من المعروف أنّ القراءة تعتمد أساسا تأويل النّصوص واستنطاقها بيد أنّ هذا الاستنطاق يتمّ عادة بعزل النّصوص عن أسيقتها الأصلية »[21]، ممّا يجعلها

ضربا من التّأويل الذّاتي والتّقدير والتّخمين والحدس، كما أنّ« القراءة لا تنظر إلى المقروء كما هو في شموليّته وكلّيته ولحظاته التّاريخيّة»[22]، حيث أنّ عزلها عن سياقها التّاريخيّ لا يحقّق شيئا، ومنه على الباحث أن يكون متضلّعا في المفاهيم الشّاملة للتّراث اللّغويّ العربيّ من جهة، كما يكون متضلّعا في ما وصلت إليه اللّسانيّات الحديثة من مفاهيم.

إنّ عمليّة القراءة عند التّراثيّين تستنتج في الغالب احتواء التّراث اللّغويّ للّسانيّات الحديثة، وتغفل أنّ الحقائق العلميّة قابلة للمراجعة على الدّوام ولا وجود لعلم نهائيّ، علاوة على أنّ النّظريّات اللّسانيّة ليست مقياسا لتقسيم التّراث وتقويمه، فعلى سبيل المثال تختلف طبيعة العمل اللّسانيّ في أنّ اللّسانيّات الوصفيّة تتّخذ من اللّسان موضوعًا وغايةً، بينما يختلف ذلك عند العرب القدماء، وهو ما ميّز اللّسانيّات عن بقيّة الأبحاث، كونها تبحث عن القواعد الكليّة الّتي تحكم اللّغات، دون الاهتمام بما هو خارج عنها، حيث انصبّ الاهتمام فيها على الجانب الشّكليّ للّغة بمستوياته المختلفة؛ وبذلك فهي لا تتّفق مع الكتابة اللّسانيّة التّراثيّة موضوعا وغاية،وعليه فإنّ التّراث اللّغويّ العربيّ« يشكّل منظومة مرجعية خاصّة بالثّقافة العربيّة الإسلامية القديمة، إنّه نسق فكريّ وضع في فترة تاريخيّة محدّدة نتيجة عوامل معيّنة، وقام على أسس فكريّة معيّنة باعتباره جزءا من بنية ثقافيّة عامّة هي الثّقافة العربيّة بمختلف مكوّناتها الحضاريّة (فكريّة واجتماعيّة ودينيّة وسياسيّة)، غير أنّ تعدّد القراءات تفقد التّراث اللّغويّ العربيّ " خصوصيّته " الحضاريّة، وذلك عندما نجعله قابلا لأن يصاغ حاضرا ومستقبلا في أيّ نظريّة لسانيّة ممكنة اليوم وغدا.»[23]وبعد إثارة هذه النّقاط فإنّ أهمّ ما سجّلته هذه الورقة البسيطة نوجزه فيمايلي:

- هذه البحوث لا تقدّم شيئا بشأن الصّعوبات الّتي تكتنف اللّغة العربيّة سواء العلميّة منها أم التّعليميّة، فمن ناحية هناك ضعف في استعمال اللّغة العربيّة الفصحى في جميع المجالات، بالإضافة إلى انتشار فوضى المصطلح، ومن ناحية أخرى تدنّي مستوى اللّغة العربيّة وصعوبة تناول النّحو العربيّ لدى المتلقّي المعاصر في مقابل الصّراع القائم في دراسة اللّغة بين القديم و الحديث والتّمسّك بالقديم على حساب واقع العربيّة ومشكلاتها، ممّا أدّى إلى تأزّم الوضع اللّغويّ، رغم الجهود المبذولة للنّهوض بالعربيّة وتشجيع استعمالها وترقيّتها وتنميّتها والحفاظ عليها.

- إنّ غياب الفكر المدرسي أدّى بشكل واضح إلى دراسات ضبابيّة اتّجاه الموروث الثّقافيّ وما هو حديث، حيث نجد الباحث ينطلق تراثيّا ويناصر التّراث، ثمّ يتحوّل إلى تمهيديّ، ثمّ إلى لسانيّ يحاول تطبيق النّماذج اللّسانيّة الغربيّة على اللّغة العربيّة؛ ممّا يعني أنّ الاهتمام بالتّراث لم يكن مؤسّسا على أسس

علمية، ولا على أهداف علمية.– يشترط في اللّسانيّ الباحث في التّراث اللّغويّ والنّظريّات اللّسانيّة الحديثة أن يكون متمتّعا « بإلمام واسع بالتّراث، ودراية واسعة بمعطيات البحث اللّسانيّ المعاصر »[24]، وعليه أن يتوخّى الموضوعيّة قدر الإمكان في عدم إسقاط المقولات الحديثة على ما هو قديم، فكلّ باحث يستخدم آليّات قرائيّة معيّنة، ولا وجود لمنهجية واحدة في القراءة فيضيع الجهد بين تنوّع هذه الآليات بحيث يصبح من الصّعب الحكم على قراءة ما بالصّحة أو الخطأ، ممّا يجعل من الأعمال التّراثيّة ضربا من الذّات العربيّة وبعيدة كلّ البعد عن الموضوعيّة والعلميّة ذات غاية تمجيديّة لا غير؛ معنى ذلك أنّهم يتمسّكون بآرائهم ولا يقبلون الرّأي الآخر، علاوة على أنّهم يؤمنون بتوقّف العلم عند العرب فيما قدّمه القدماء، ونتج عن كلّ ذلك غياب رؤية واضحة اتّجاه قضايا اللّغة العربيّة، وغياب البحوث العلميّة المضبوطة لها باتّخاذها موضوعا للدّراسة اللّسانيّة الحديثة في ظلّ هذه الصّور الّتي اتّخذتها الكتابة اللّسانيّة التّراثيّة العربيّة .

- أهملت هذه البحوث التّراث اللّغويّ العربيّ، بميزته العالميّة، ومحاولة استثمار مقولاته العلميّة على أنّه محطّة فكريّة تاريخيّة تحتاج إلى محطّات أخرى تكمل ما فيها من نقص، حيث يتحوّل التّراث إلى نقطة بداية لأبحاث تفيد العربية وأملا في عودتها إلى مكانتها القديمة ويبقى السؤال مطروحا : كيف يمكن أن تصبح قراءة التّراث اللّغويّ العربيّ فعّالة في خدمة اللّغة العربيّة الحالية؟

الهوامش:

1 - عبد السّلام المسدّي: اللّسانيّات وأسسها المعرفيّة، الدّار التّونسيّة للنّشر، أوت(1986)، تونس، ص: 12 - 13

2 - مصطفى غلفان: من أجل لسانيّات العربيّة، مجلّة اللّسانيّات واللّغة العربيّة، منشورات مخبر اللّسانيّات واللّغة العربيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة باجي مختار،ع:1، جوان 2006، عنّابة، ص: 61

3 - 4 مصطفى غلفان : من أجل لسانيّات العربيّة، ص: 60

5 - نعيمة قوري: الدّرس اللّسانيّ في الجزائر: دراسة في المداخل التّأسيسيّة، أطروحة ماجستير، جامعة باجي مختار،2014، عنّابة، ص: 26

6 - مازن الوعر: قضايا أساسيّة في علم اللّسانيّات الحديث، دار طالاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، ط1، 1988، ص: 21

7 - عبد السّلام المسدّي: اللّسانيّات وأسسها المعرفيّة، ص: 13.

8 - مازن الوعر: قضايا أساسيّة في علم اللّسانيّات الحديث، ص: 379

9 – عزّ الدّين ميهوبي: اللّغة العربيّة، الوحدة والتّواصل في المغرب العربيّ، ضمن ندوة مغاربيّة من تنظيم المجلس الأعلى للّغة العربيّة، مساهمة اللّغة العربيّة في التّواصل والتّضامن والوحدة بين أقطار المغرب العربي، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّة،(29 – 30) جوان 2003، الجزائر،ص: 103

10 -مصطفى غلفان: اللّسانيّات العربيّة الحديثة، دراسة نقديّة في المصادر والأسس النّظريّة، جامعة الحسن الثّانيّ، عين الشّق، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم: 4، ص: 92

11 –عبد السّلام شقروش: البحث اللّسانيّ العربيّ بين المرجعيّة التّراثيّة، والإجرائيّة الحديثة، مقال منشور ضمن مجلّة اللّسانيّات واللّغة العربيّة، منشورات مخبر اللّسانيّات واللّغة العربيّة، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة باجي مختار، جوان 2007، عنّابة، ص: 47

12 – مصطفى غلفان: اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص: 135

13 – عبد القادر الفاسي الفهريّ: اللّسانيّات العربيّة، نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، مقال منشور ضمن ندوة جهوية تقدّم اللّسانيّات في الأقطار العربيّة، منظّمة الأمم المتّحدة للتّربيّة والعلوم والثّقافة، دار الغرب الإسلاميّ، ط1، 1991، بيروت، لبنان، ص: 12 - 13

14 – عبد القادر الفاسي الفهريّ: اللّسانيّات العربيّة، نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، ص: 13

15- عبد الرّحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ج1، موفم للنّشر، 2007، الجزائر، ص: 11

16 –حافظ اسماعيلي علوي: اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، 2009، ط1، ص: 71

17 – رشيد عبد الرّحمان العبيدي: الألسنيّة المعاصرة والعربيّة، مجلّة الذّخائر، العدد الأوّل، السّنة الأولى، شتاء1420 – 2000 ، ص: 31

18 –حافظ اسماعيلي علوي: اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصرة، ص: 59

19 – مصطفى غلفان: اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص137

20 –تمّام حسّان: تعليم النّحو بين النّظريّة والتّطبيق، مجلّة المناهل، العددالسّابع، منشورات وزارة الثّقافة، المغرب، الرباط، ص: 128

21 – 22 مصطفى غلفان: اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص: 147

23 – مصطفى غلفان: اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص: 157

24 – محمد بوعمامة: التّراث اللّغويّ العربيّ بين سندان الأصالة ومطرقة المعاصرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة محمّد خيضر، العددان(2-3)، جانفي، جوان،2008، بسكرة، ص: 207